تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة

الثقافة الجديدة

فبراير – العدد ٢٩٣ – الثمن جنيهان

صدر العدد الأول فى أبريل ١٩٧٠ برئاسة تحرير سعد الدين وهبة

رئيس مجلس الإدارة
د. سيد خطاب

أمين عام النشر
محمد أبو المجد

مجلس التحرير
سمير درويش
شحاتة العريان
عزت إبراهيم
حمدى أبو جُليّل
صبحى موسى (رئيسا)
د. جمال العسكرى

مدير التحرير
عادل سميح

التصميم الأساسى
أحمد اللبّاد

تصميم الغلاف والإشراف الفنى
هند سمير

تنفيذ الداخلى
أيمن مرجان

التدقيق اللغوى
سعاد عبد الحليم

مستشارو التحرير
السيد إمام
محمد عيد إبراهيم
شيرين أبو النجا
بهاء الدين رمضان
أحمد أبو خنيجر

المراسلات
القاهرة، باب اللوق، ١٨٣ شارع التحرير،
«عمارة ستراند»، الدور الثالث، رقم بريدي ١١٥١٣
هاتف وفاكس: ٢٧٩٤٨٢٣٦
thaqafag@yahoo.com

موقع المجلة
www.althaqafahlgadidah.com.eg

قواعد النشر فى المجلة

■ ترسل المادة مطبوعة ومراجعة على البريد الإلكتروني للمجلة أو على أسطوانة مدمجة، علماً بأن المجلة لن تلتفت للأعمال المكتوبة بخط اليد.
■ لا تنشر المجلة أعمالاً سبق نشرها بأية وسيلة: ورقية أو إلكترونية.
■ يراعى فى الدراسات الأدبية قواعد المنهج العلمى، ولا تقل الدراسة عن ٢٠٠٠ كلمة، ولا تزيد عن ٢٥٠٠ كلمة.
■ ترتيب المواد خاضع لاعتبارات فنية فحسب.
■ لا تعاد الأعمال المقدمة للنشر سواء نشرت أو لم تنشر.
■ الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة، بل تعبر عن آراء أصحابها.

مدخل

٥ سلطة النص.. فرضية فكرية أم حقيقة مؤكدة؟! / عزت إبراهيم

ملف العدد

(سلطة النص الدينى)

٨ سلطة النص الدينى على الفلسفة الإسلامية / د. محمود إسماعيل

١٢ اللاهوت الفقهى وتاسيس الكهنوتية الإسلامية / د. محمد الجزار

١٧ البنية المؤسسة لسلطة النص المقدس / د. أحمد لاشين

٢٤ سلطة النص بين أزمة العقل وانتصار الدوجما / د. غيضان على

٢٨ النص.. سلطة وسطوة وتدمير للأمة / د. حسن يوسف طه

٣٢ من سلطة الثقافة إلى ثقافة السلطة / د. محمد عبد المطلب

٣٥ عن "سلطة النص".. وإشكالياته / محمد عطية محمود

كتاب الثقافة

الأعمال الفائزة بجائزة «ساويرس» فى مرآة النقد

٤٠ "بحجم حبة عنب".. سيرة ألم متمردة / ممدوح فرّاج النابى

٤٣ "كتاب الأمان".. الحقيقة خلف خط الهامش / أمنية طلعت

٤٥ "فى مستوى النظر".. شعرية السرد وسلطة المنظور / عمر شهريار

٤٨ "البهجة تحزم حقائبها".. سلطة النكد الرمزية / د. سيد ضيف الله

٥١ "سيجارة سابعة".. رؤية العالم فى نصوص متعاقبة / طه عبد المنعم

٥٣ "رهانات خاسرة".. سرد محكوم بغواية الصحراء / محمد الكفراوى

٥٥ "دوار البر".. أبطال الهشاشة ونبل القيمة / أحمد حسن عوض

٥٨ "الشعر والسرد".. جدل النظرية والمداخلات المنهجية / د. محمد زيدان

٦٢ "خرافة الأدب الصهيوني".. زيف التقدم وحقيقة الاحتلال / عمر مصطفى لطف

ملف الأدب

قراءات

٦٦ المعايير النقدية فى المذاهب الأدبية / عبد الناصر حسن محمد

٧٢ ولادة الوعى فى "الخروج إلى النهار" / رمضان بسطاويسى

٧٦ الجمالية المجازية فى "أساطير الآخرين" / د. أمجد ريان

٨٠ وسائط الانزياح الموضوعى فى "البيوت البعيدة" / علاء رمضان

شعر:

٨٣ كثورةٍ تتدحرجُ فوق السلالم / محمود خير الله

٨٦ قصائد / إيهاب خليفة

٨٩ يعملون فى البحر / عبد الرحمن مقلد

٩١ صلصال / هناء جودة

وسائط الانزياح الموضوعى فى «البيوت البعيدة»

علاء الدين رمضان

«البيوت البعيدة» مجموعة قصصية للأديب محمد محمود عثمان ، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهى مجموعة مميزة ومهمة ولافتة للانتباه ، تتجلى فيها سمات الريادة فكرًا وموضوعًا وأداءً .

وتجسد (البيوت البعيدة) مدى ما يقع على عاتق أصحاب التجربة التى يعالجها الكاتب ، من التزام كبير بالكد والكدح والمعاناة فآمالهم بعيد تحققها واستقرارهم يستدعى مساحة كبيرة من المغامرة والصراع عليهم اجتيازها هذا مفهوم ؛ وثمة مفهوم آخر تطرحه التجربة ذاتها بقوة ، هو كون هذه البيوت بعيدة موغلة فى الذاكرة ، بيوت من الماضى لا المستقبل .

تتشكل المجموعة من ثلاث عشرة قصة قصيرة مرتبة ترتيبًا قصديًا وكأنها حلقات قصصية متتالية تبدأ بقصة (البيوت البعيدة) التى تحكى عن أطفال يجتمعون للعب الذى لا يخلو من الحلم بالمستقبل والتنظير له ، وتنتهى بقصة (جدار لم يكتمل) التى تحكى عن غائب يعود بعد سنوات طويلة عاشها منزوعًا عن أمه ووطنه وأقران نشأته الذين كانت تمتد بينهم حلقات النقاش حول الغربة وقسوتها . . وكأن هؤلاء الأطفال فى مطلع العمر والمجموعة ، هم أنفسهم مجموعة الأصدقاء الذين يناقشون قضايا الغربة والانتماء . . ؛ وتستغرق المجموعة بنية مكانية مميزة ومثيرة للدهشة والإعجاب معًا ، إلا أن البنية الزمنية فيها أكثر إثارة وأعمق أداء ، وبخاصة لأن الأديب استغل بذكاء كبير ما يمكن أن يسمى بالزمن الصاعد والزمن الهابط ، لذا رأينا أن نتحدث ههنا عن هذا البعد فى مجموعة البيوت البعيدة ؛ لكننى أوضح هنا أن دراسة الأبنية الزمنية للنص الأدبى لا يمكن أن تكون شاملة ، لأن التعرّجات الزمنية ظاهرة فى كل وحدة من الوحدات النصية ، ولأن النص يتذبذب فى كل لحظة من الحاضر إلى الماضى فالمستقبل ؛ وكلاهما – الماضى أو المستقبل – يكون عندئذ بيئة سكون وملجأ يفر إليه اتجاه النص بوساطة الشخصيات أو التجربة المطروحة ، بوصفه الملاذ والمنقذ الذى يوفر للنفس القلقة شيئًا من الاستقرار والأمن والطمأنينة ؛ وقد توزعت قصص المجموعة بين هذين النمطين الدخول من الواقع/ الحاضر إلى الماضى ، أو التطلع إلى الخلاص فى المستقبل بانتهاء سطوة الواقع وقسوته واستبداد معطياته ، وذلك من خلال وسائط الانزياح فى التجربة الموضوعية لكل قصة والتى تنوعت ما بين التحول والتقوقع واللغة الإشارية والصراع والتغيير والتطلع إلى الأمل المرجو بالحلم ، وقد انتظم هذه الوسائط فى إزاحتهم للتجربة نسقان رئيسان هما قاطرة النص نحو الاتجاه المزمع للتجربة ؛ فإذا دخلت التجربة إلى الماضى استخدم الكاتب الاسترجاع ، وإذا خرجت إلى المستقبل نجده يستخدم أسلوب الاستباق أو التطلع والاستشراف ؛ وهناك نمط ثالث أضعف صوتًا وأخفت ضوءًا وأقل وجودًا هو الوقوف فى نقطة بين الماضى والمستقبل ، تستمد من

كليهما بحسب اتجاه التجربة والمعالجة ؛ وهى النقطة التى يتقاطع فيها الزمن الصاعد والهابط ، ومن هذا النوع ما ظَلَّ الاتجاه الصارم فيه غير مطروح وإنما تحدده رؤية القارئ ، مثل نقطة النهاية فى قصة (القادمون) ، فإما أن يستبد الحنين إلى الماضى أو أن يقع الاتجاه الغريزى الحتمى بوساطة انطلاق الحياة صوب الموت ؛ ومثل قصة (بيت العنكبوت) التى تعالج قضية ليس فيها ماض أو مستقبل بل فيها محاوّلة للتخلص من الماضى الجاثم والتطلع للمستقبل المرفوض الذى تنبذه القاعدة العريضة فى محيط القصة ليظل الموضوع المطروح هو قصة الجمود والحصار اللذين يحيطان ببيئة التجربة .

تمتلك قصص المجموعة مقدرة فائقة فى استخدام اللغة الإشارية المحملة بعدد كبير من الإيحاءات

أولاً : الخروج إلى المستقبل

من أبرز القصص التى عالجت تيمة الخروج إلى المستقبل ، فى المجموعة ، قصة (التحرير ٧٧ مكرر) التى اتخذت من التحول مركبًا للخروج إلى المستقبل ، فقد لخص الكاتب فيها منذ الاستهلال حالة من حالات الصراع الحضارى وصورة للتحول باتجاه الآخر الذى هو هنا الحضارة الغربية وكأن القصة تسوق -مستشرفة المستقبل - حديثًا عن العولمة . . ؛ وكما اتخذ من التحول واصلة للمستقبل فى التحرير ، جعل الحلم بالمستقبل قنطرته إليه فى قصة (البيوت البعيدة) ؛ وأصحاب الحلم هنا هم الأطفال الذين يحدق بهم مستقبل غير واضح ، يحاولون تشكيله وتجسيده فى مخيلاتهم الغضة بوساطة الحلم .

فمن أنماط الخروج إلى المستقبل التطلع إلى امتلاكه والكشف عن مخبوئه ، إنه نمط من الانفتاح الثقافى على الآخر ، ذلك الانفتاح الذى لا يخلو من الصراع : رائحة الموروث القديم فى (التحرير ٧٧) ، أو الرجل ببذلته المزينة بالنياشين فى (البيوت البعيدة) ، أو التابو فى عقول أهل بيئة النص من الخانعين فى (بيت العنكبوت) . . ، أو الكائنات الهلامية فى (أصداف النهر) .

ولعل أبرز أنماط ووسائط الخروج إلى المستقبل فى مجموعة البيوت البعيدة ، نمط التحول الذى عنى به الكاتب عناية بالغة لدرجة أنه جعله بؤرة الفعل والمتحكم فى سير النسق المضمونى للنص .

ثانيًا : الدخول إلى الماضى

بعض القصص ذهبت بعيدًا عن واقعها ، وانزوت فى الماضى واحتمت بظُلَّة الإرث القديم ؛ منها ما اكتفى باستحضار الماضى فى متنه النصى ، ومنها ما صرح منذ العنوان باستمداده منه وأخذه عنه والمثول فى حضرته والخضوع لسطوته وسلطانه ، مثل : الحكايات القديمة ، حين يحكى جدى ، الشواهد ؛ وأشير هنا إلى أن هذه القصص لم تكن فى معزل عن كاتبها وإنما كانت تشير فى جلاء إلى خصيصة مهمّة تكاد تميز شخصيةَ

الكاتب نفسه ؛ فهو يمتلك نزعة وفاء تجاه الأجيال الرئيسةَ التى تَعد بمثابة الجذور للحياة الحديثة ، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى قصة حين يحكى جدى ، إذ يستهل القصة بحديث عن جده يبرز مدى التصاقه بشخصيته وحميمية العلاقة بينهما وتلبسه بدور الجد وتأثره به ، فهو يقرَ بقناعة مهمة لا تسمح بالانفصال الزمنى والقطع بين الأجيال .

ومن القصص التى استعادت الوجه البائد للماضى وأسبغته على الحاضر ، قصة (الحكايات القديمة) وهو عنوان يثير فينا عددًا لا نهائيًا من المشاعر التى ينتظمها سلك واحد وهو الألفة لها والأنس به .

ومن أنماط الرجوع إلى الماضى محاولة الهروب من الواقع الحاضر وقسوته إلى الماضى الذى يرفرف عليه حنان الأم الرءوم وتظلله ذكرياتها ، إما بالاسترجاع كما فى قصة الشواهد ، أو بالانتقال الواقعى المكانى إليها ، كما فى قصة (جدار لم يكتمل) .

وأود أن أشير هنا إلى أن القصص التى هربت من الحاضر إلى الماضى أو حتى استمدت منه كانت من أهم تجارب محمد محمود عثمان ، وأعمقها فنية ، وأرسخها قدمًا وأحفلها فكرًا وعطاءً ؛ وأبرزها ما استغل فيه أسلوب الاسترجاع وإضاءة الماضى والإطلالة عليه .

وبعد الحديث عن هذين الجدولين الرئيسين للتجربة فى البيوت البعيدة ، أود أن أشير أخيرًا إلى سمة من أبرز السمات الفنية عند محمد محمود عثمان هى اللغة الإشارية .

اللغة الإشارية

أثبتت قصص «البيوت البعيدة» أن كاتبها يمتلك مقدرة فائقة فى استخدام اللغة الإشارية المحملة بعدد كبير من الإيحاءات الموجهة ذات الرسائل الدلالية التى توجه حركة النص من خلالها ، وسأكتفى هنا بعرض نمطين من أنماط اللغة الإشارية ، نمط يستخدم فيه الكاتب التيمة الإشارية والنمط الآخر يستخدم الاتجاه الكلى الإشارى : التيمة الإشارية مثل الشبابيك ؛ فالشبابيك عند الكاتب لها دور معرفى مهم جدًا ، إذ إنها تضىء العالم وتكشفه إذا انفتحت . . ، وعندما تنغلق تشير إلى الاستلاب ، كما فى قصة (القادمون) التى تستدعى ذكريات قديمة ، بين الزائر والقابع فى السكون ، وكل من بينهما قد غادر الحياة ، بل ربما القابع فى السكون نفسه غير موجود حقيقة فى هذه الدنيا ، وكأن تلك الزيارة تدل على وجود حياة من نوع ما . . وكأن أيضًا انغلاق الشبابيك فى النهاية إشارة إلى انتهاء الدور . . ، أو الموت . . ؛ أما النمط الثانى فهو استخدام الاتجاه الكلى الإشارى ، وهو يعنى أن يستغرق الكاتب نصًا كاملاً لبناء بنية إشارية ، ويمكننا أن نحول جلَّ قصص المجموعة إلى بنى إشارية ، إذ يعتمد الكاتب على بنية الظاهر ومضمر الوعى الضمنى فى صياغة تجاربه ، فنجد فى قصصه نسقًا رئيسًا للمعنى تتقاطع معه عدة أنساق ضمنية يشكلها معنى المعنى أو المستويات الضمنية الأعمق للنص ؛ وقد اخترت للحديث عن هذا النمط قصة (جدار لم يكتمل) التى يعرض الكاتب من خلالها للحظة الانكسار التى عاشها العائد الذى أضاع الزمنُ منه صورةَ الماضى وحوَّله إلى شىء زائف . . لم يبقَ له من الماضى إلا أمه التى يصف وجهها بوصف شديد الدقة والإدهاش : «طرق الباب فأطل ذلك الوجه اليقينى الذى كان مطابقًا للصور القديمة . . وجه أمى» ؛ فالكاتب هنا يقدم صورة لا تخلو من كشف حساب لمغترب ترك بلدته وبيته وعائلته وأمه من أجل الاتساع فى الرزق . . ، وبعد سنوات غربته عاد تواقًا إلى بلدته يَشُدُّه شوق حالم إليها ؛ إلا أنه يفاجأ بتغير ملامحها تمامًا ، فتتحول إلى صورة مفعمة بالمظهرية والاستهلاكية . . ، تغمرها أضواء النيون والبهرجة . . ، كل شىء فيها تغير بناؤه ؛ إلا أنه بناء كان ينذر بالانهيار ؛ لقد أضاع البطل فى غربته عمرًا إلا أنه لما يزل يملك فى موطنه أمًا ؛ المأساة الحقيقية هى مأساة أولئك الذين أضاعوا الوطن بما فيه من أمهات . .

إن هذه المجموعة تشير إلى أن محمد محمود عثمان كاتب قصة متميز نحن بحاجة إلى المزيد والمزيد من نتاجه ، حاجتنا إلى كاتب جاد وقاص رائد ومثقف واع متسع الأفق وارف الثقافة نافذ الفكر .